

(2)

(الدَّرَج)

ذكرنا فيما سبق أنّ أحد ما تركّب منه الخطابة الحسينية هو القريض، وهو الشعر الفصيح الذي يتعرّض لمصيبة الإمام الحسين أو أحد المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين)، ويُقرأ القريض بطريقة تُؤدّي إلى إثارة الحزن والبكاء لدى السامع.

طريقة الدَّرَج:

ويُقرأ القريض بطريقة الدَّرَج، وسمّيت تلك الطريقة بطور الدَّرَج نسبةً إلى التدرّج بنبرة الصوت، ومعنى ذلك أنّ يتدرّج الخطيب بنبرة صوته، فيقرأ في البداية قراءةً عاديةً هادئةً لا يستعمل فيها المدّ إلاّ بحدّه الأدنى، فيبدأ بطبقة القرار ثمّ يرتقي بصوته شيئاً فشيئاً مع مدّ وترجيعٍ وتحزّنٍ إلى أن يرتقي بصوته وينتقل إلى طورٍ آخرٍ مختلفٍ في آخر أبيات القصيدة، كالانتقال من الدَّرَج إلى المثكل، أو ينتقل من الدَّرَج إلى التّخميس أو إلى غير ذلك من الأطوار التي سيأتي ذكرها، وهاهنا ملاحظاتٌ مهمّة:

ملاحظات:

الأولى: لكلّ خطيبٍ طريقةٌ خاصّةٌ في قراءةٍ طور الدَّرَج بما يتلاءم مع صوته وحنجرته.

الثانية: يُقرأ الدَّرَج من القصيدة بحسب عدد الأبيات، وتكون للدَّرَج الحصّة الكبرى من أبيات القصيدة.

الثالثة: ينبغي أن لا يقلّ عدد أبيات القصيدة عن سبعة أبيات، وأن لا تزيد القصيدة بعدد أبياتها عن الحدّ المتعارف حتى لا يحصل الملل عند السامع.

التّطبيق:

ولتطبيق ما ذكرناه، اخترنا قصيدةً للسيد رضا الهندي (رحمه الله) وهي قصيدةٌ معروفةٌ ومشهورةٌ، وانتخبنا منها تسعة أبيات، وسيكون التدرّج بالأبيات السبّعة الأولى وبعدها يُنتقل إلى طور المثكل الذي يعتمد على الأتّة، وسيأتي بيان طور المثكل في الدرس القادم بإذن الله تعالى.

إِنْ كَانَ عِنْدَكَ عِبْرَةٌ تُجْرِيهَا فَاَنْزِلْ بِأَرْضِ الطِّفْلِ كَيْ نَسْقِيهَا
فَعَسَى نَبْلٌ بِهَا مُضَاجِعَ صَفْوَةٍ مَا بُلَّتِ الْأَكْبَادُ مِنْ جَارِيهَا
وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى مَنَازِلِ عِصْمَةٍ ثَقُلُ النَّبْوَةُ كَانَ أَلْقِي فِيهَا
فَبَكَيتُ حَتَّى خَلَّتْهَا سَتُجِيبِي بِبُكَائِهَا حُزْنًا عَلَى أَهْلِهَا
وَذَكَرْتُ إِذْ وَقَفْتُ عَقِيلَةَ حَيْدِرٍ مَذْهُولَةً تُصْغِي لَصَوْتِ أَخِيهَا
لَمْ أَنْسَ إِذْ هَتَكُوا حِمَاهَا فَانْتَنَتْ تَشْكُوا لَوَاعِجِهَا⁽¹⁾ إِلَى حَامِيهَا
تَدْعُو فَتَحْتَرِقُ الْقُلُوبُ كَأَنَّمَا يَرْمِي حَشَاهَا جَمْرَهُ مِنْ فِيهَا
هَذِي نَسَاؤُكَ مَنْ يَكُونُ إِذَا سَرَتْ بِالْأَسْرِ سَائِقَهَا وَمَنْ حَادِيهَا
أَيْسُوفُهَا زَجْرٌ بِضَرْبِ مُنَوَّهَا وَالشَّمْرُ يَحْدُوها بِسَبِّ أَيْيِهَا⁽²⁾

(1) لَوَاعِجُهَا أَيُّ أَحْزَانِهَا وَأَشْجَانِهَا، لَوَاعِجٌ : جَمْعُ لَوَاعِجٍ وَهُوَ الْحُزْنُ.
(2) الْخَطُّ الَّذِي تَحْتَهُ أُخْرُ كَلِمَةٍ مِنَ الْبَيْنَيْنِ يُشِيرُ إِلَى مَوْضِعِ الْأَنَّةِ وَقِرَاءَةُ طَوْرِ الْمَثْكَلِ.